المحاضرة الثامنة

الوحدة رقم8 : العلاقات المورية البيزنطية

1- **علاقة الملوك المور بالاحتلال البيزنطي**

2- سياسة الإمبراطور جوستينيان اتجاه القبائل المورية

3- الصراع الموري البيزنطي في عهد الإمبراطور جوستينيان

المرحلة الاولى : من بداية الإحتلال البيزنطي إلى الحرب المورية الكبرى(534-544م)

المرحلة الثانية : الحرب المورية الكبرى 544-548م

I. علاقة الملوك المور بالاحتلال البيزنطي : مع نجاح الحملة البيزنطية على بلاد المغرب سارعت السلطة البيزنطية إلى ربط علاقات ودية مع زعماء القبائل المورية، ووجدت هذه الأخيرة الفرصة في الاستقلال وامتلاك أراضي زراعية مقابل علاقتها السلمية مع بيزنطا، نجد منها القبائل الطرابلسية وقائدها إيرنا(Irna) ، والقائد أنتالاس(Antalas) في تالة زعيم قبائل الفراكسيس، وكوتزيناس(Coutzinas) في البيزاكينا، حيث لم تحدث أي حروب أو صراعات بين القبائل المورية وجيوش بليزار، إلاَ أنَ مغادرة هذا الأخير لبلاد المغرب سنة 534م ورجوعه إلى بيزنطا وتعيين القائد صولومون حاكما جديدا للمنطقة أدَى إلى توتَر العلاقات بين السلطة البيزنطية و زعماء المور، والسبب ربما يعود إلى سياسة هذا الأخير اتجاه هذه القبائل، وبالخصوص السياسة التوسعية التي انتهجها على حساب أراضي القبائل المورية ومحاولة التهرب من الالتزامات المالية، والهدايا التي كانت تحصل عليها هذه القبائل في عهد بليزار، الأمر الذي زاد ربما من حدة الصَراع بين الطرفين.

II. سياسة الإمبراطور جوستينيان اتجاه القبائل المورية :

انتهج الإمبراطور جوستينيان سياستين مختلفتين في ترسيخ الاحتلال وإرساء الأمن والاستقرار بعد أن تمَت عملية القضاء على الوندال واحتلال أجزاء من بلاد المغرب، تبدأ السياسة الأولى من بداية الاحتلال البيزنطي إلى عهد جون تروقليتا الحاكم العام لبلاد المغرب ومهمة القضاء على الحروب المورية، حيث اتَسمت هذه الفترة بثورات كبيرة احتاجت لقادة أقوياء مثل: صولومون وبليزاريوس للقضاء على الثورات التي شنَتها القبائل المورية على المناطق التي

سيطر عليها البيزنطيون، أما السياسة الثانية فقد كانت مخالفة تماما للسياسة الأولى فالإمبراطور في هذه المرة وبعد القضاء على الثورات التي قام بها المور من طرف تروقليتا وبعد انتهاء الحرب المورية الكبرى والأمن والاستقرار الذي ساد في المنطقة، عمل على استمالة الملوك المور وذلك لهدفين الأول لتجنب الثورات ضد المور لما تخلفه من خسائر مالية وبشرية، والهدف الثاني والرئيسي وهو نشر المذهب الكاثوليكي و الدين المسيحي في أوساط القبائل المورية .

حيث أراد الإمبراطور جوستينيان من استرجاع بلاد المغرب القضاء على المذهب الأريوسي الوندالي أولا ثم نشر المذهب الكاثوليكي المسيحي، و إرجاع بلاد المغرب إلى ما كانت عليه في الفترة الرومانية، كما أراد بذلك القضاء على الديانة الوثنية ديانة القبائل و الممالك المورية ومحاربة كل ما هو خارج عن المذهب المسيحي، وكان يريد نشر المسيحية في جميع المقاطعات التي تخضع للاحتلال البيزنطي وتنصير شعوبها، وقد ورد في أشعار كوريبوس على أن الملك غنفان (Guenfan) والد أنتالاس كان يأتيه الوحي من الإله أمون وهي فكرة توحي باستمرار المور على دينهم القديم منذ الفترة القرطاجية .

وبعد الاستقرار الذي عرفته المقاطعة الإفريقية في فترة حكم جوستينيان وبعد الحرب المورية الكبرى التي انتهت سنة 548م أراد الإمبراطور نشر الدين المسيحي وتنصير القبائل المورية لأنه السبيل الوحيد في السيطرة على المنطقة، حيث بدأ الإمبراطور سياسته التنصيرية ببناء الكنائس، وحسب ما أورده بروكوب في كتاب العمائر (les Edifices) فقد أرسل الإمبراطور المبشرين بالمسيحية إلى المقاطعة الطرابلسية التي كانت تدين بالوثنية خاصة إلى قبائل الصحراء الليبية لأنهم أصحاب السلطة العليا في المنطقة التي حافظت على دينها القديم وإلى غاية القرن السادس ميلادي، واصل الإمبراطور سياسته التبشيرية وذلك بتهديم المعابد الوثنية حيث أحرق قبيلة تعبد الإله غرزيل (Guerzile) وهدم معبد الإله أمون و بنا مكان المعابد المورية كنائس مسيحية .

يذكر موديران أن الإمبراطور في بداية الأمر و بعد الانتصار على الوندال بسهولة لم يكن يتوقعها، لم يعط اهتماما كبيرا ووزنا ثقيلا للقبائل المورية وللخطر الذي قد تسببه على مشاريعه الاستيطانية في المنطقة، وما يمكن أن تحدثه من دمار للجيش البيزنطي، يدل على ذلك عدد الجنود الذين كانوا في بلاد المغرب فهو عدد قليل جدا، حيث عمل صولومون في بداية الأمر على استمالة الملك كوزينا الذي لم يجلب تحالف كل القبائل المورية، حيث ظلّت أقوى القبائل خارج التحالف مع البيزنطيين وضد توسعاتهم في المنطقة، وهي بذلك تشكل خطرا كبيرا يهدد استقرار الأوضاع في المناطق التي يسيطر عليها البيزنطيون، وكان التحالف البيزنطي مع المور واستمالة الملوك المور في التحالف و التعاون وإحلال الأمن في المنطقة ضعيف في فترة حكم كل من بليزاريوس وبعده صولومون مقارنة بالتحالفات التي قام بها جون تروقليتا فيما بعد وهي السياسة الثانية

للإمبراطور، إذ استطاع جون تروقيليتا أن يتحالف مع أقوى الملوك في منطقة الأوراس الملك يوداس .

وما يؤكد ذلك أنَ الانتصارات وإن لم نقل كل الانتصارات التي حققها تروجليتا يرجع الفضل فيها إلى القبائل المورية، حيث إنهم أعلم بحدود المنطقة وطبيعة تضاريسها و سكانها وهو الشيء الذي يدفعنا للاعتقاد أنَ السياسة البيزنطية في بداية الاحتلال كانت تعتمد على القوة في التوسع وضم الأقاليم (أقاليم القبائل المورية)، لكن هذه السياسة لم تؤت أكلها فقد تنبه تروقليتا لذلك الأمر وتفطن إلى الخطر والدور الكبير الذي يلعبه المور في المنطقة، لذلك عمل على استمالة ملوك القبائل المورية وتحقيق التحالف معهم وتجنب الثورات المورية على المدن والمقاطعات البيزنطية.

حيث لم تتغير السياسة البيزنطية في بلاد المغرب بعد موت صولومون سنة 546م و كان ذلك سبب الإخفاق البيزنطي في القضاء على الثورات المورية، مثلا في فترة حكم سرجيوس على طرابلس زادت الأوضاع سوءا مقارنة بما كانت عليه في عهد صولومون، لأن هذا الأخير كان مبغضا جدا من طرف الجند ومن طرف القبائل المورية، يظهر ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها الملك الموري انتالاس إلى الإمبراطور جوستينيان، وكذلك في فترة حكم أريوبيند (Aréobindus) سنة 545م وهذا الأخير الذي عيَنه الإمبراطور وفشل هو الآخر في حل مشاكل بلاد المغرب، وقد عرفت القبائل المورية في هذه الفترة نوعا من الأمن والاستقرار والتوسع في الأقاليم الداخلية، لأن الإمبراطور لم يعط أهمية للقبائل المورية أو للثورات التي يمكن أن تقوم بها ضد البيزنطيين وضد سياسة الإمبراطور، لكن هذه السياسة تغيرت بفعل التحالفات التي قامت بها القبائل المورية والثورة المورية الكبرى التي أكَدت فيها هذه القبائل القوة التي تملكها وكذا روح المواجهة والمقاومة في صد أي عدوان خارجي .

وكما ذكرنا سابقا أن القائد تروجيليتا كان يعرف بلاد المغرب تمام المعرفة قبل أن يكون حاكما عليها، ذلك أنه رافق جيش القائد بليزاريوس في الحملة البيزنطية على الوندال سنة 533م، ومن الممكن أنه قبل أن يكون حاكما عاما على المنطقة كان دوقا في المقاطعة الطرابلسية حسب كوريبوس، وبحكم معرفته الجيدة للمنطقة ومعرفة سكانها كانت سياسته ناجحة إلى حد كبير في استمالة بعض القبائل والتحالف معها أثناء الحرب المورية الكبرى وبعدها، فقد نجح تروقيليتا في التعامل مع الكثير من قادة القبائل والتحالف معهم، ومن هذه القبائل قبائل الملك كوزينا، كما استطاع التحالف مع ايوداس ملك قبائل الاوراس، كما استعان تروقيليتا بالقبائل المورية خلال الحملة البيزنطية على القبائل الطرابلسية وضد الملك كاركسان سنة547م، هذه القبائل التي كان لها الدور الفعال والكبير في الانتصارات التي حققها تروقيلتا على القبائل الطرابلسية المورية، كذلك استمال قائد موري آخر يدعى افيسداس (Ifisdas) حيث شارك هذا الأخير إلى جانب

الجيش البيزنطي ضد القبائل الطرابلسية، وقد استطاع جون تروقيليتا بحنكته السياسية ومعرفته الجيدة لبلاد المغرب القضاء على الثورات لمد طويلة، وطيلة فترة حكم الإمبراطور جوستينيان .

ويمكن القول إن تحالف القبائل المورية مع السلطة البيزنطية لم يكن حبًا للبيزنطيين ولا للسياسة التي انتهجوها في بلاد المغرب، حيث كان هدف الممالك المورية من هذا التحالف هو من دون شك من أجل إبقاء السَيطرة على الأقاليم الموجودين فيها في ظل التعاون والتحاف مع بيزنطا، وانتظار الفرصة السانحة والوقت المناسب للقضاء على الاحتلال البيزنطي في المنطقة، كما يمكن القول إن التحالف البيزنطي مع بعض القبائل المورية ربما كان من ورائه شروط يلتزم الطرفان بها، فمثلا تقوم القبائل المورية بمساعدة الجيش البيزنطي في حملاته أو في صد الهجمات التي يتعرض لها، مقابل السماح للقبائل المورية بالتوسع في المناطق الزراعية في الأراضي الداخلية وممارسة التجارة دون تعرض الجيش البيزنطي لها.

ويمكن أن نؤكد ذلك من خلال التحالف الذي كان بين القائد تروقليتا وملك قبائل الأوراس يوداس، هذا الأخير الذي ظل يقاوم الاحتلال البيزنطي في المنطقة إلى غاية سنة 548م حيث تحالف مع السلطة البيزنطية مع نهاية الحرب المورية، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل عن سبب هذا التحالف ؟ فقد تحول من الخصم الذي تهابه السلطة البيزنطية في الأوراس إلى حليف في صفوف الجيش البيزنطي وربما يرجع ذلك إلى الأسباب التي ذكرناها سابقا أي التعاون بشروط .

يمكننا القول في الأخير أن الإمبراطور جوستينيان ربما أستطاع إلى حد كبير من إرساء الأمن و الاستقرار بعد ثورات كثيرة وعنيفة ضد القبائل المورية وذلك بعد أن تفطن إلى دور القبائل وعمل على التحالف معها، كما استطاع بمساعدة رجال الدين المسيحيين أن ينصّر بعض القبائل المورية لكن العدد الكبير من القبائل بقيت تدين بالوثنية طيلة الفترة البيزنطية إلى مجيء الإسلام و الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب القديم .

III. الصراع الموري البيزنطي في عهد الإمبراطور جوستينيان :

كانت ردود الفعل المحلية منذ التاريخ المبكَر قوية ضد أي عدوان أجنبي على المنطقة، نجد ذلك منذ الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، وكلمة صراع موري أو ليبي قديمة، فالصَراع وردَ المحتل الأجنبي مهما كانت قوَته صفة قديمة متجذَرة في سكان المغرب القديم، خاصة إذا علمنا أن الأرض هي كل شيء بالنسبة للسكان، فقد ثارت شعوب وقبائل كثيرة ضد الرومان في كل من جبال البابور والبيبان والحضنة والاوراس وجرجرة وكل مناطق بلاد المغرب .

لتتواصل الثورات في النصف الثاني من القرن الثالث ميلادي في منطقة القبائل و الهضاب وسور الغزلان وواد الصومام، كذلك الثورات المتتالية من قبائل البافار(les bavare) ،

واستمرت بعد ذلك ولم تتوقف طيلة فترة الاحتلال الوندالي والبيزنطي ، وهي ثورات ومقاومات تهدف بها مختلف القبائل المورية إلى استرجاع سيادتها واستقلالها في الأقاليم التي انتزعت منها وعدم قبول التبعية، وهي أحد أبرز مميزات القبائل المورية طيلة فترة الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم .

يذكر بروكوب ثلاث ملوك من أقوى الملوك تزامنوا مع بداية الحملة البيزنطية لبلاد المغرب، وهم الملك انتالاس(Antalas) ملك البيزاكينا أو مملكة الفراكسيس ، وكانت علاقته جيدة وسلمية مع القائد البيزنطي بليزاريوس ومع السلطة البيزنطية، كذلك تذكر المصادر الملك كوتزيناس(Cotzinas) والذي كانت تربطه علاقة طيبة وسلمية هو الأخر مع بليزار، وكذلك الملك يوداس(Iaudas) ملك الاوراس ، هذا الأخير الذي ظلَ مستقلا بمملكته في الاوراس، والذي ربما هو الأخر كانت تجمعه علاقات سلمية مع بيزنطا لأنه كان في صراع دائم مع الوندال، الأمر الذي دفعه ربما إلى التحالف مع القائد بليزاريوس والحملة البيزنطية على الوندال.

السؤال الذي يمكن طرحه في بداية هذا الفصل من البحث هو: هل تمَ فعلا احتلال كامل بلاد المغرب من طرف البيزنطيين؟ وهذا إذا علمنا أن البيزنطيين استقروا و بشكل كامل تقريبا في البروقنصلية وجزء من مقاطعة البيزاكينا فقط ، وبقي ثلثي من مقاطعة نوميديا في أيدي القبائل المورية، وبقيت الموريطانيات الثلاث (السطايفية البروقنصلية الطنجية) خارج السيطرة البيزنطية، واستطاع الجيش البيزنطي احتلال بعض الموانئ منها فقط، مثل: جيجل وبجاية وقيصارية، حيث كانت هذه الموانئ معزولة في بلاد مستقلة من الداخل، و كما ذكرنا سابقا أن قيصارية لم يكن ممكنا الوصول إليها إلاَ عن طريق البحر لأن كل الطرق والأراضي الداخلية التي تتصل بها برَا كانت تحت سيطرة وسلطة الملوك المور .

ويمكن التساؤل أيضا عن مصير السكان الأصليين وردود الأفعال التي كانت منهم اتجاه المستعمر الجديد، وما موقف زعماء القبائل والممالك المورية من السياسة البيزنطية ؟ وهو ما سنحاول الإجابة عنه وعرضه في هذه النقطة من الصراع الموري البيزنطي، و سنحاول اقتصار الموضوع على فترة حكم الإمبراطور جوستينيان فقط، وهو ما يهمنا في بحثنا دون التطرق للفترات التي تلت فترة حكم الإمبراطور جوستينيان.

لقد استقبل المجتمع الروماني في بلاد المغرب والأساقفة المسيحيين البيزنطيين والحملة البيزنطية وقائدها بليزار بالفرح والترحاب وهنؤوهم بالنصر الذي حققوه بالقضاء على الوندال، عكس القبائل المورية لم تظهر نفس الموقف حيث تحالفت مجموعة من القبائل مع الوندال ضد

البيزنطيين، وبقيت قبائل أخرى محايدة في مواقفها ممَا أدى بالسلطة البيزنطية إلى طلب رهائن من هذه القبائل كضمان للأمن والسلام بين الطرفين البيزنطي و الموري .

و يؤكد هذا الموقف بروكوب في ذكره بأن المور قاوموا الجيوش البيزنطية من جميع الجهات بدءا من سنة 534م، خاصة بعد عودة بليزار إلى بيزنطا وترك صولومون خلفا له، ويعود سبب ذلك ربَما لتغيير بيزنطا لسياستها اتجاه القبائل المورية، وتأتي في مقدمة القبائل المورية الطرابلسية وقبائل الجنوب النوميدي والبيزاكينا، فضلا عن القبائل التي تحالفت مع ملك الوندال جيلمير (Gélmére) وكلها ستحمل السلاح فيما بعد لوقف التوسعات البيزنطية في الأراضي الداخلية للمور، وبذلك يبدأ الصراع من جديد سيكلف السلطة البيزنطية جهودا وجيوش كبيرة لصد الهجمات المورية المتكررة على المدن البيزنطية .

وما يدلَ على توتر العلاقات بين المور والسلطة البيزنطية بقيادة صولومون هو إرسال الإمبراطور جوستينيان إمدادات كبيرة من الجنود لصولومون بعد رجوع بليزار إلى بيزنطا، حيث أرسلت بيزنطا إلى بلاد المغرب ما يزيد عن ثمانية عشر الف ألف جندي لإمداد الجيش البيزنطي ببلاد المغرب، الأمر الذي يؤكَد الحروب الكثيرة والمتتالية من طرف القبائل المورية ضد السلطة البيزنطية .

هذا وقد ألحقت مجموعة من القبائل المورية خسائر كبيرة في المدن البيزنطية خاصة في كل من نوميديا والبيزاكينا، ومن أمثلة ذلك إبادة خيالة بيزنطية تعدادها خمس مائة جندي بيزنطي بقيادة كل من إيفان (Aigan) و روفينوس(Rouphinos) وهما من خيرة وأقوى القادة البيزنطيين، الأمر الذي يوحي بقوة القادة المور في إلحاق هزائم كثيرة بالجيوش البيزنطية .

1) المرحلة الاولى : من بداية الإحتلال البيزنطي إلى الحرب المورية الكبرى(544-534م) :

شكَلت القبائل المورية مجموعة كبيرة من الممالك والتي شكلت بدورها كونفيدراليات أو دولا بالمصطلح الحديث في كامل بلاد المغرب، وعملت على القضاء على الاحتلال البيزنطي في المنطقة، حيث هاجمت قبائل الأوراس مدن لامبيز وتيمقاد واستطاع ملك الاوراس يوداس من أن يجمع ثلاثون ألف فارس وقف بها في وجه التوسع البيزنطي في منطقة الاوراس، إضافة إلى هذا الملك الذي وقف في وجه البيزنطيين نذكر الملك اورتياس ملك قبائل الحضنة وكذلك الملك ماستيغاس ملك قبائل موريطانيا وكذا الملك مازونا ملك منطقة ألتافا (Althava) (أولاد ميمون) في الغرب الجزائري وكل القادة الذين سبق ذكرهم، وقفوا بشكل عنيف وشديد ضد التوسعات البيزنطية في الأقاليم المورية .

وفي هذه الفترة كان القائد صولومون هو الحاكم الفعلي لبلاد المغرب حيث وبعد الرسالة التي بعث بها إلى زعماء القبائل المورية محاولا في ذلك استمالتهم والتي من جهتها ردَت بقوة عن

مزاعم البيزنطيين وعن توسعاتهم وضرب المعاهدات التي جمعتهم ببليزار من قبل عرض الحائط، لتبدأ بذلك سلسلة الحروب بين الطرفين وسار باتجاه البيزاكينا ، وكان صولومون يملك ما يقارب ثمانية عشر ألف جندي من بقايا الجيش الذي كان يقوده بليزاريوس في حملته ضد الوندال، وحصل على مدد كبير من الإمبراطور وقبل أن يباشر حملاته ضد المور في البيزاكينا فقد خطب كثيرا في ضرورة القضاء على المور وبما أنهم استطاعوا القضاء على الوندال فمن السهل القضاء على القبائل المور .

كما سبق الذكر أن المور أبادو خيالة إيفان (Aigan) و روفيني (Rouphinos) و بدأو يتوسعون داخل الأراضي الداخلية و سيطروا على الأراضي الخصبة، وقد حذرهم صولومون من ذالك لكنهم لم يؤبهوا له وأجابوه حسب ما يذكر بروكوب بما يلي : « إنَ الرومان يخطبون ودَنا ويريدون أن نكون لهم حلفاء، بينما هم لم يحسنوا إلينا وجلبوا لنا المجاعة، فليس الذين يطاردون اللَصوص لاسترجاع أرزاقهم هم الذين ينالهم سخط الرب بل أولئك الذين يبادرون بالحرب و يستحوذون على أرزاق غيرهم » .

لتبدأ بذلك استعدادات القائد صولومون حيث حشد الكثير من الجيوش وبدأ في توسعاته على القبائل الجنوبية جنوب البيزاكينا وعلى القبائل الطرابلسية الجمالة، حيث تذكر المصادر النتائج الكبيرة التي حققها في بداية التوسع، فقد أسر الكثير من النساء والأطفال في الوقت الذي لا زال فيه انتالاس حليفا للبيزنطيين ويوداس بعيدا عن الصراع .

ومع بداية سنة 535م سار القائد البيزنطي صولومون باتجاه الأوراس وفي كل مرة يتوسع يقوم ببناء حصون وقلاع للاحتماء بها من هجمات القبائل الاوراسية، وهي مجازفة منه لأن الفصل كان في الشتاء ولأنه لا يعرف حقيقة تضاريس وجبال وقبائل المنطقة، وهو الأمر الذي حتَم عليه الرجوع إلى قرطاج دون تحقيق ما كان يهدف إليه وهو القضاء على القبائل الاوراسية بقيادة اوداس .

وحسب محمد البشير شنيتي أنَ أوَل صدام بين المور والبيزنطيين كان بقيادة الملك أيوداس سنة 535م، هذا الأخير الذي بدأ هجومه على كتيبة البيزاكينا والتي كانت تتكون من خمس مائة جندي، ثم توغل بعد ذلك في الأراضي النوميدية وأخضع أهلها إلى سلطانه، وكان لهذه الهجمات التأثير الكبير على صولومون، الذي كان رده بهجوم معاكس غنم من خلاله الكثير من الأسرى باعهم كعبيد بأثمان رخيصة في السوق.

وحسب بروكوب فإنَ صولومون قضى في هذه الحملة على ما يقارب عشرة آلاف من المور، وهو عدد حسب رأينا مبالغ فيه إلا أن صولومون حقق انتصارا كبيرا على قبائل البيزاكينا وقد احتفل بهذا الانتصار في قرطاج التي عاد إليها غانما الكثير من الجمال و الأسرى .

وأمام هذا الوضع المتأزم وكثرة الثورات المورية حدث تمرد في الجيش البيزنطي على القائد صولومون سنة 536م ، بسبب سياسة هذا الأخير في معاملة الجنود، حيث كان القادة الكبار ينهبون ويستأثرون بالغنائم لوحدهم دون استفادة الجندي بشيء من ذلك، و من الأسباب أيضا استنكار الكهنة الأريوسيين للإضطهادات التي يتعرضون لها، كل ذلك أدى إلى فوضى عارمة كادت أن تقضي على القائد صولومون لولا فراره إلى جزيرة صقيلية، وقد وجد المتؤامرون في شخصية ستوزاس (stozace) الشخصية القوية التي التفوا حولها للمطالبة بحقوقهم والنهوض ضد السلطة، خاصة الجنود الذين تزوجوا بالونداليات، حيث طالبو بحقوقهم في أراضي زوجاتهم الونداليات، حيث التفوا حول القائد ستوزاس وقاموا بحركة انقلاب ضد السلطة بدأت سنة 536م وتحالفت معهم قبائل نوميديا وقادوا حملة باتجاه قرطاج وضد صولومون، استطاع ستوزاس من حشد عن ما يزيد عن ثمانية ألاف جندي بيزنطي وحوالي ألف من بقايا الوندال في بلاد المغرب، وقد اجتمعوا في قرطاج مطالبين بحقوقهم وقد أدى الأمر في الأخير إلى حروب بين الطرفين انتهت بفرار القائد صولومون إلى صقيلية .

وبسبب التمرد والانقلاب الذي حدث في الجيش البيزنطي أعاد الإمبراطور جوستينيان بليزاريوس إلى بلاد المغرب للقضاء على هذا التمرد، و بعد المعركة الحاسمة ضد ستوزاس في موقعة بنهر مجردة استطاع بليزاريوس من التغلب على المتمرَدين، لكن لم يتم القضاء على ستوزاس الذي جمع الجنود وعاد مرة أخرى إلى نوميديا لمحاربة البيزنطيين، وفي هذه المرة أرسل الإمبراطور جوستينيان ابن عمه جيرمانوس (Gérmanos) للقضاء على هذه الثورة، وقد استطاع هذا الأخير من القضاء على ثورة ستوزاس وتفريق المتآمرين في كامل المقاطعات، ومنهم من إستماله جيرمانوس وانظم إلى صفوف الجيش البيزنطي كما كان سابقا ومنهم من فرَ إلى القبائل المورية .

وبعد القضاء على تمرد الجند من طرف جيرمانوس أعاد الإمبراطور جوستينيان القائد صولومون إلى منصبه، كحاكم عام لبلاد المغرب سنة 539م ، فهو الحاكم المدني و العسكري وبدأ في سياسته التوسعية حيث أصبحت بلاد المغرب في فترته الثانية متطورة ومزدهرة وقام بإحاطة المدن بأسوار ، وأول شيء قام به هذا الأخير بعد عودته إلى بلاد المغرب هو تنظيم الجيش وتعين قادة جدد على رأسه، كما وضع معسكرا في باغاي(Bagais) تحت قيادة أبرز قادته قونتاريس (Gontharis) ، وقام بحملة ضد قبائل الأوراس وضد ملكها يوداس، وبعد مدَ وجزر بين صولومون وملك الأوراس يوداس، استطاع صولومون الانتصار على أيوداس حيث انسحب هذا الأخير وجنوده بعد الهزيمة إلى القبائل الموريطانية وإلى القبائل الجنوبية للاوراس.

وسارت الجيوش البيزنطية بعد ذلك باتجاه موريطانيا حسب ما يذكر بروكوب واحتلت كل من الحضنة وموريطانيا السطايفية في حدود سنة 539م، ولتأمين الحدود البيزنطية وإرساء الأمن والاستقرار في المناطق التي سيطرت عليها والتي أخضعها صولومون، قام هذا الأخير ببناء مجوعة من التحصينات في المناطق الأوراسية وفي نوميديا وموريطانيا القيصرية وهي السياسة التي سوف تؤمَن المدن البيزنطية طيلة أربع سنوات، لتظهر بعد ذلك ثورة كبرى في المقاطعة الطرابلسية ومنطقة الأوراس تجمع بين عدد كبير من ملوك وقادة القبائل المورية في بلاد المغرب تعرف بما يسمى بالحرب المورية الكبرى .

ويخلص موديران في كتابه "المور وإفريقيا الرومانية" إلى أنَ سياسة الإمبراطور جوستينيان اتجاه الممالك المورية في الفترة الممتدة من 534-544م قد أتسمت بثلاثة استراتيجيات رئيسية وهي التسامح والحذر والعنف، وما يؤكد التسامح البيزنطي اتجاه المور ، ما ذكره بروكوب في أن الملك أنتالاس بقي ملكا على الأراضي الجنوب الغربية من مقاطعة البيزاكينا، واستمر الوضع على حاله إلى غاية سنة 535م، نفس الشيء نجده مع الملك كوتزينا الذي عملت السلطة البيزنطية إلى التحالف معه، ويذكر بروكوب في ذلك أنَه خلال الحرب المورية الكبرى كان كوتزينا حليفا للرومان وكان استقراره وبشكل رسمي في مقاطعة نوميديا في الجزء الشرقي .

وحسب رأيينا أن بعض من الملوك المور قد تحالفوا مع السلطة البيزنطية في بداية الحملة لأنهم كانوا يؤملون بهذه الحملة القضاء على الوندال وتأسيس ممالك بربرية مستقلة هذا في بداية الأمر، أمَا فيما بعد و بعد السياسة التوسعية التي قام بها الإمبراطور فيمكن أن نقول من غير الممكن أن يقبل ملوك المور السياسة البيزنطية التوسعية أو أن يقبلوا أن تنتزع منهم أراضيهم ومقاطعاتهم وسلب أموالهم من دون رد فعل في ذلك.

و ما يدل على ذلك أنه وفي بداية الصراع البيزنطي الموري وحسب محفوظ قداش أن المور بعد الانتصار البيزنطي في المنطقة بدؤوا يتوسعون في الأقاليم الداخلية، وقد أرسل إليهم صولومون رسالة تهديدية يحذرهم فيها بعدم حمل السلاح ضد الإمبراطور القوي و كان الرد الموري على الرسالة بما يلي: « إلتزم بليزاريوس اتجاهنا بوعود ذرائعية للاعتراف بسلطة الإمبراطور جوستينيان، لكن الرومان دون أن يقدموا لنا أي خير وجالبين لنا المجاعة يريدوننا أصدقاء وحلفاء، أوليس واضحا أنكم أنتم الذين تنتهكون وعودكم وليس المور ..... إنكم أنتم الذين لا تستطيعون أن تأخذوا سوى امرأة واحدة وتصابون بالعناية بأطفالكم أما نحن الذين نستطيع أخذ خمسين فلا نخشى نقص الذرية »، وفي الرسالة نص صريح إلى قوة و شجاعة المور في التصدي لمن أراد السيطرة على أراضيهم و ممتلكاتهم .

أما السياسة الثالثة التي قامت بها الإدارة البيزنطية في بلاد المغرب وهي التشدد و الصلابة ضد القبائل المورية، وما يؤكد ذلك أنه خلال الحرب المورية الكبرى حسب كلا من بروكوب وكوريب أنَ الدوق الجديد للمقاطعة الطرابلسية سرجيوس قام بقتل تسعة و سبعون فردا من نبلاء القبائل الذين جاءوا يطالبون ويحتجون على دفع نصيبهم السنوي من المحاصيل الزراعية وفقا للاتفاق المبرم قبلا مع بليزاريوس، وقد كانت هذه المجزرة سبب من أسباب الحرب المورية الكبرى وفي ظل هذه السياسة البيزنطية في المنطقة ثارت القبائل المورية ضد البيزنطيين في أكبر ثورة يقودها زعماء وملوك القبائل المورية، وذلك من خلال التحالفات فيما بينهم ضد سياسة الإمبراطور جوستينيان في المنطقة، هذه الحرب التي سوف تكون أعنف وأشد وأقوى ثورة تصطدم بها سياسة الإمبراطور في بلاد المغرب وتدوم ما يزيد عن أربع سنوات.

2) المرحلة الثانية : الحرب المورية الكبرى 544-548م :

لم تهدأ الأوضاع للبيزنطيين في بلاد المغرب بقضائهم على ثورة و مؤامرة الجند بزعامة ستوزاس (Stozace) والقضاء على ثورة يوداس ملك الاوراس الذي نزح نحو موريطانيا بعد الهزيمة التي مني بها ضد البيزنطيين، فلقد كان على البيزطيين أن يواجهوا ثورة أعنف و أشمل من الثورات التي عرفوها في بداية الاحتلال، حيث ستظهر ثورة اعنف واشمل وهي ثورة القبائل المورية المتحدة فيما بينها بداية من سنة 544م.

و لعل من بين أسباب الحرب المورية الكبرى التي كانت سنة 543م، أنه حينما قام الإمبراطور جوستينيان بوضع دوقا جديدا على مقاطعة طرابلس يدعى سرجيوس (Sergius) والذي كان من أقارب القائد صولومون وكانت سمعته سيئة جدا في أوساط الجيش و في أوساط المور، حيث خططوا للقضاء عليه وقتله حسب ما يذكر بروكوب .

وأمام هذه الأوضاع الصعبة حشدت القبائل المورية الطرابلسية (Laguatane) جيشا ضخما واتجهت نحو مدينة لبدة (Liptis-Magna) وذلك للاحتجاج على ما فعله الجيش البيزنطي في انتهاك الأراضي الزراعية والمحاصيل التي كانت تمتلكها هذه القبائل، حيث استقبل الحاكم الجديد سرجيوس ممثلي القبائل المورية في قصره لينظر في مطالبهم من وراء الاحتجاج، ثم قرر في الأخير بقتل هؤلاء الممثلين و كان عددهم حوالي ثمانون فردا، و هو سبب إعلان القبائل المورية للحرب على الإمبراطورية البيزنطية.

وكانت هذه الحادثة بداية صراع جديد بين القبائل المورية و البيزنطيين مع بداية سنة 544م، وقد تحالفت كل القبائل المورية المناهضة للاحتلال البيزنطي في هذه الحرب بزعامة قبيلة لواتة (Laguatane) ، كما أعلن ملك البيزاكينا أنتالاس الحرب على البيزنطيين، و سعى إلى التحالف مع القبائل الطرابلسية في هذه الحرب، حيث أدى هذا الأمر بحاكم الطرابلسية سرجيوس إلى طلب المساعدة من الحاكم العام صولومون في قرطاج، وسارت القبائل المورية بقيادة انتالاس

وتوسعت اتجاه العاصمة قرطاج مما اضطر صولومون إلى الخروج و مواجهة المور بالقرب من مدينة تبسة(Theveste) ، حيث دارت الحرب الأولى بين الطرفين في موقعة القصرين (Cillium) وذلك سنة 544م من شهر جوان انتهت بمقتل القائد البيزنطي صولومون .

وبعد موت صولومون أوكل الإمبراطور جوستينيان مهمة القيادة بلاد المغرب إلى كل من القائد أريوبيند (Aréobinde) وسرجيوس (Sergius)، لكن لا أحد من القادة الجدد استطاع أن يهزم القبائل المورية المتحدة والتي ازدادت قوة بعد موت صولومون، بالرغم من تحالف بعض الملوك المور مع السلطة البيزنطية، مثل تحالف الملك الموري كوزينا (Cozina) حاكم الإقليم الجنوبي لنوميديا، هذا الأخير الذي كان تحت قيادته حوالي ثلاثون ألف من الفرسان حيث وقف بها الى جانب بيزنطا ضد ملك البيزاكينا انتالاس (Antalase) .

في حين إنضم القائد البيزنطي المتمرد على السلطة ستوزاس (Stosace) إلى القبائل المورية والى قائدها انتالاس، حيث كان ستوزاس لاجئا في احدى القبائل الموريطانية بعد ان فشل انقلابه على السلطة، كما انظم إلى انتالاس بقايا الوندال الذين بقوا في المنطقة بعد سقوط دولتهم.

وكانت المواجهة الثانية للقبائل المورية ضد كلا من أريوبيند وسرجيوس و حليفهم كوزينا عنيفة جدا، حيث سارت القبائل المورية المتحالفة باتجاه حضر موت(Hadrumète) (سوسة) ودخلت في ثورة كبيرة ضد الجيوش البيزنطية حققت فيها انتصارا كبيرا على الحكام البيزنطيين الجدد الذين عينهم الإمبراطور جوستينيان بعد موت القائد صولومون .

وفي هذه الظروف الصعبة عين الإمبراطور جوستينيان مع نهاية سنة 546م حاكما عام جديد لبلاد المغرب يدعى جون تروقيليتا (Jean Trogilita) وأمره بالقضاء على القبائل المورية الثائرة وقيادة العمليات العسكرية في هذه الحرب لأن هذا الأخير كان ضابطا قديما في جيش بليزاريوس في الحملة البيزنطية ضد الوندال ببلاد المغرب سنة 533م، وبعدها وفي فترة حكم صولومون من الممكن أنَ تروقيليتا كان بمثابة دوقا في المقاطعة الطرابلسية، وكان اليد اليمنى لصولومون وبقي في المنطقة بعد أحداث 536م الأحداث التي أدت إلى فرار صولومون إلى صقلية، ونصب بعد ذلك قائد الجناح الأيمن في الجيش البيزنطي في بلاد المغرب إلى غاية 538م، خاصة في فترة مقاومة انتالاس في البيزاكينا، إذا فهو بذلك يعرف الكثير عن المقاطعة قبل أن يحكمها كما يعرف طبيعة العدو (القبائل المورية) الذي سيواجهه، ربما هي أشياء دفعت بالإمبراطور جوستينيان إلى اختياره لأن يكون الحاكم العام الجديد لبلاد المغرب .

سار القائد تروجيليتا في حدود سنة 546-547م رغم قساوة البرد في حملة ضد المور، وتوغل بعدها في الجنوب رغم الحرارة الشديدة، حيث وصل جنوبا إلى مناطق لم يصلها أحد من القادة البيزنطيين من قبل، وقد أستطاع تروجيليتا أن يستميل ملك الاوراس يوداس و التحالف معه.

وفي هذه الفترة تقريبا انتهى الصراع البيزنطي مع الفرس في المشرق، وهو ما سيساعد على تدعيم الجيش البيزنطي بقوات جديدة ، حيث أرسل الإمبراطور مساعدات عسكرية إلى بلاد المغرب، و ذلك بهدف القضاء على الثورة المورية الطرابلسية التي بدأتها قبائل هوارة و لواتة، كما جدد تروقيليتا تحالفه مع الملك الموري كوزينا الذي كان بحوزتة ما يقارب ثلاثون ألف مقاتل .

و حسب رواية كوريبوس فقد انضمَ قائد موري آخر إلى صفوف الجيش البيزنطي يدعى إفيسدياس (Ifisdaias)، والذي كانت مملكته مجاورة لمملكة كوزينا، و قد استطاع جون تروجيليتا بمساعدة بعض ملوك القبائل المورية من مباشرة الحملات العسكرية ضد قبائل هوارة ولواتة في الصحراء الطرابلسية التي كانت بقيادة الملك إيرنا (Ierna) ، و هو من أقوى القادة الموريين في المنطقة الطرابلسية، وكان إلى جانبه في هذه الثورة ملك البيزاكينا انتالاس الذي يعرف الجوش البيزنطية أتمَ المعرفة .

وبعد صراع وثورات كثيرة بين الطرفين الموري والبيزنطي انتهت الحرب بالانتصار البيزنطي أواخر 547م، في ظل التعاون والتحالف البيزنطي مع بعض قادة القبائل المورية، حيث اندثرت بعد ذلك فرق الجيش الموري وتشتت في أعماق الصحراء بعد الهزيمة، و حقق بذلك تروجيليتا انتصارا كبيرا، خاصة وأن الحرب المورية الكبرى انتهت بمقتل ايرنا ملك القبائل الطرابلسية، وانسحاب انتالاس ملك البيزاكينا وضعفه وتشتت جيوشه .

ما يمكن قوله في ذلك أنه كان بإمكان انتصار القبائل المورية في هذه الحرب ضد الجيوش البيزنطية وقائدها تروقيليتا، لولا خيانة بعض القبائل المورية وتحالفها مع البيزنطيين، حيث كان القائد تروقيليطا يدرك أن الانتصار لن يتحقق إذا لم يتحالف مع القبائل المورية في هذه الحرب، لذلك سارع إلى استمالة بعض القبائل المورية لكي يأمن منها ويستفيد من تحالفها مع القبائل الطرابلسية الثائرة.

هذا و قد حاول الملك إيرنا حماية معبوده الإله غرزيل (Guerzil) الذي هدمه الجنود البيزنطيين ودمروا كل المعابد المورية ودمروا معبد الإله غرزيل الذي هو ربما من الآلهة التي كان يعبدها المور في الصحراء الطرابلسية، وبهذا استطاع جون تروجيليتا من إخماد الثورة المورية الكبرى وعاد بعدها إلى العاصمة قرطاج .

لم يدم الأمن والاستقرار طويلا، حيث ظهر قائد موري آخر جمع حوله القبائل المورية من جديد ودخل في صراع جديد ضد السلطة البيزنطية و هو الملك كاركسان (Carcasane) ملك قبائل الايفوراس الطرابلسية (Ifouraces) .

وقد حشد جون تروجيليتا لهذه المعركة الكثير من الجنود والحلفاء، للقضاء على هذه الثورة ، وتذكر المصادر أن الملك افيسدياس كان بحوزته ما يقارب مائة ألف محارب(وهو عدد حسبنا

مبالغ فيه)، كما تحالف مع البيزنطيين أيضا ايوداس ملك الأوراس هذا الأخير الذي أرسل مع ابنه ما يقارب اثني عشر ألف جندي.

وقد التقى الجيشان البيزنطي وحلفائه من بعض القادة المور ضد جيش الملك كاركسان في منطقة غربي سهول ماما(Mamas) بالقرب من قرطاج سنة 548م ، و بعد معركة كبيرة بين الطرفين ، استطاعت الجيوش البيزنطية و حلفائهم من المور من إلحاق الهزيمة بالملك كركسان وجنوده ونهاية حليفه انتالاس، لتكون بذلك هذه العركة آخر محطة من محطات الحرب المورية الكبرى التي زادت عن أربع سنوات، أظهرت خلالها القبائل المورية حقيقة المقاومة المورية وقوتها، وكلّفت الإدارة البيزنطية خسائر مادية و بشرية كبيرة أدَت إلى إفلاس الخزينة البيزنطية .

نقول و نؤكّد أن الانتصارات التي حققها تروجيليتا في بلاد المغرب يرجع الفضل فيه بشكل كبير إلى الملوك المور الذين لعبوا الدور الكبير في الحروب وفي جلب الانتصار للجيوش البيزنطية بقيادة تروقيليتا، هذا الانتصار الذي عجز عن تحقيقه من سبقوه في الحكم أمثال القائد بليزاريوس وصولومون، حيث ستدخل المنطقة بعد ذلك في حالة سلام دون حروب تقريبا إلى نهاية عهد الإمبراطور جوستينيان.

يمكن القول في الأخير أنَ العلاقات السلمية التي ربطت البيزنطيين بالقبائل المورية في بداية الحملة على الوندال وعلى بلاد المغرب، كانت علاقات مصالح بين الطرفين، حيث عملت الإدارة البيزنطية على محاولة استمالة والتحالف مع المور حتى تسهل لها عملية القضاء على الوندال، في حين استغلت القبائل المورية فرصة الحملة البيزنطية للقضاء على الوندال، لأن العلاقات المورية الوندالية كانت عدائية، الأمر الذي يؤكد التحالف الموري البيزنطي .

وسوء العلاقات المورية اليزنطية بعد القضاء على الوندال، يظهر نوايا الطرفين في محاولة كل طرف استغلال الطرف الآخر، حيث استغل البيزنطيون القبائل المورية في القضاء على الوندال لأنَ المور أعلم بشؤونهم السياسية والعسكرية، في حين استغلت القبائل المورية الحملة البيزنطية وتحالفت معها للقضاء على الوندال والسعي بعد ذلك لاسترجاع أقاليمها وأراضيها التي تم التوسع فيها وهو ما نجده بعد القضاء على الوندال، وشروع الإدارة البيزنطية في تجسيد سياستها الاستعمارية و التوسعية واستغلال أقاليم بلاد المغرب .

حيث أدت السياسة الإدارية والعسكرية البيزنطية في بلاد المغرب إلى دخول بيزنطا في حروب لا نهاية لها ضد القبائل المورية، التي كان رد فعلها قوي واستغلت كل إمكانياتها بما في ذلك التحالف وتكوين قوة عسكرية موحدة تواجه بها الاحتلال البيزنطي وهو ما جسدته بما يعرف ب "الحرب المورية الكبرى"، التي أظهرت من خلالها القبائل المورية مدى ترابطها

وتلاحمها في الظروف الصعبة رغم العلاقات العدائية التي كانت تشوبها بسبب الحدود والنعرات الفكرية والعرقية .

هذا ولم يكن بإمكان الاحتلال البيزنطي تحقيق أهدافه التوسعية، لولا سياسته القائمة على استمالة العنصر المحلي ضد العنصر المحلي وانتهاز فرصة صراع القبائل المورية فيما بينها ، والتحالف مع اكبر القبائل المورية مثل: ما حدث مع الملك الاوراس اوداس والملك كوتزينا اللذين لعبا الدور الكبير إلى جانب بيزنطا في القضاء على الحرب المورية الكبرى